

دلالة الزمن في التراكييب العربية

الدكتور: المبروك أحمد بلحاج
كلية اللغات - جامعة طرابلس

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

اللغة وسيلة الإنسان لإدراك ما حوله من ظواهر الكون، ومن هذه الظواهر حركة الزمان التي يستشعرها ويعبر عنها بألفاظ اللغة، ولكل لغة أسلوبها في تحديد الزمن، وعلماء العربية درسوا هذه الظاهرة قديماً وحديثاً، إلا أن دراستهم للزمان قديماً لم تكن شاملة عميقة، لأنهم اهتموا بدراسة الزمن من خلال الصيغ وأشاروا إليه إشارات خافتة في حالة التراكييب، وعلاقة الفعل بالزمان أشمل بكثير من حصرها في صيغ ثلاث، وربما لم يكن غرضهم الوقوف على مفهوم الزمان مباشرة، وإنما أرادوا أن يتوصلوا إلى تعريف للفعل يميزه عن الاسم والحرف، ولا يعني هذا أن علماء العربية قديماً لم يفتنوا إلى حقيقة الزمان من حيث علاقة الفعل به، إذ لا يجوز أن يكون قد التبس عليهم الفرق بين معاني الفعل الخالي من التراكييب والقيود الزمانية، وبين الفعل المقيد بها، لأن للفعل علاقة عضوية بمفهوم الزمان، وما من فعلٍ إلا ولحدوثه وقت، فالعلاقة بين التراكييب والزمن تعد من أهم موضوعات التحليل النحوي.

وفي بحثي هذا سأحاول دراسة موضوع الزمن في العربية، مبيّناً مفهوم الزمن والزمان والوقت، كما أنني سأعرض للزمان عند النحاة قديماً، وفي الدراسات اللغوية الحديثة، وسأقف وقفة قصيرة موازناً بين العربية والإنجليزية في دلالة الزمن، ومتناولاً دلالة الزمن في العربية، ومبيّناً أن الزمن فيها لا يستنبط من الصيغ وحدها بل منها ومن التراكييب والأدوات والقرائن وهذا ما نراه في الدراسات الحديثة، ثم أبيّن عدم صحة الادعاءات التي تتهم العربية بقصور ألفاظها في الدلالة على الزمن، وأختم دراستي بخاتمة أذكر فيها النتائج.

مفهوم الزمن والزمان والوقت:

هناك من يعد الزمن والزمان والوقت من المترادفات، ويتعامل معها في الدرس النحو على ذلك، ولكن الصحيح خلاف ذلك خاصة في تطبيقها في زمن الفعل داخل السياق فهي مصطلحات مختلفة.

الزمن لغة: (الزمن اسم لقليل الوقت وكثيره، ... والجمع أزمُن وأزمان وأزمنة)⁽¹⁾، يقول الفيومي: (الزمان مدة قابلة للقسمة ولهذا يطلق على الوقت القليل والكثير والجمع أزمنة، والزمن مقصور منه والجمع أزمان)⁽²⁾.

المعنى الاصطلاحي عند النحاة: لافرق عند النحاة بين الزمن والوقت فهو الصيغ الزمنية التي وقع حدث الفعل فيها في إطار الوظيفة الإعرابية⁽³⁾ إذ هي دلالة صيغة الفعل مفردة خارج السياق، في الماضي أو الحاضر أو المستقبل، وقد كان اهتمامهم بالصيغ الزمانية للفعل في إطار معيار الوظيفة الإعرابية، والأدوات التي تضاف إليه⁽⁴⁾. ويفرق أبو هلال العسكري بين الزمان والوقت بقوله: (الزمان أوقات متوالية مختلفة أو غير مختلفة فالوقت واحد.... والشاهد أيضا أنه يقال: زمان قصير وزمان طويل ولا يقال: وقت قصير)⁽⁵⁾.

ويعبر تمام حسان بالزمن فيقول: (وأما الزمن السياقي النحوي: فإنه جزء من الظواهر الموقعية السياقية؛ لأن دلالة الفعل على زمنٍ ما تتوقف على موقعه وعلى قرينته في السياق)⁽⁶⁾.

1) لسان العرب مادة (ز م ن).

2) المصباح المنير مادة (ز م ن).

3) ينظر: اتجاهات التحليل الزمني في الدراسات اللغوية 16.

4) ينظر: همع الهوامع 15/1-19.

5) الفروق في اللغة 264.

6) اللغة العربية معناها ومبناها 105.

الزمن عند النحاة قديماً:

للفعل مراتب زمنية مختلفة لا ينفك عنها إطلاقاً، ولهذا فإن علاقة الفعل بالزمن أشمل بكثير من القدر الذي حصرها علماء العربية في صيغ ثلاث، وربما حصرهم للفعل في هذه الصيغ الثلاث؛ لأن الزمن ثلاثة أقسام: حركة ماضية، وحركة آتية، وحركة تفصل بين الماضية والآتية، أي أن الفعل حالي عند وقوعه، ويصبح ماضياً بعد وقوعه حقيقة، وهو مستقبل ما لم يقع، فهذه لا تتعدى عن تصورات منطقية بحتة ولم يكن غرضهم الوقوف على مفهوم الزمن مباشرة، وإنما أرادوا أن يتوصلوا إلى تعريف للفعل يميّزه عن الاسم والحرف، فاقتصروا في هذه المحاولة على تقسيمه إلى الماضي والحال والاستقبال فحسب، ولم يتعرضوا للمجالات الزمنية التي يتضمنها الزمن الواحد كالماضي أو المستقبل⁽¹⁾.

ويرى سيبويه أن الفعل (أمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبُنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم يَنقَطع.

فأما بناء ما مضى فَذَهَبَ وَسَمِعَ وَمَكَّتْ وَحَمَدَ. وأما بناء ما لم يقع فَإِنَّهُ قَوْلُكَ آمِراً: اذْهَبْ وَاقْتُلْ وَاضْرِبْ، وَمُخْبِراً: يَقْتُلْ وَيَذْهَبُ وَيَضْرِبُ وَيُقْتَلُ وَيُضْرَبُ. وكذلك بناء ما لم يَنقَطع وهو كائن إذا أُخْبِرْتَ⁽²⁾.

يقول ابن الأنباري: (إن قال قائل: لم كانت الأفعال ثلاثة: ماضي وحاضر ومستقبل؟، قيل: لأن الأزمنة ثلاثة، ولما كانت ثلاثة وجب أن تكون الأفعال ثلاثة: ماضٍ، وحاضر، ومستقبل⁽³⁾.

ويفصل ابن يعيش القول في دلالة الزمن بقوله: (لما كانت الأفعال مُساوِقة للزمان،

1 ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه 146، والأزمنة في اللغة العربية (بحث) 2.

2 الكتاب 12/1.

3 أسرار العربية 315.

والزمان من مقوّمات الأفعال توجد عند وجوده وتنعدم عند عدمه؛ انقسمت بأقسام الزمان، ولما كان الزمان ثلاثة: ماضٍ وحاضر ومستقبل، وذلك من قبل أن الأزمنة حركات الفلّك، فمنها حركة مضت، ومنها حركة لم تأت بعد، ومنها حركة تفصل بين الماضية والآتية؛ كانت الأفعال كذلك: ماضٍ، ومستقبل، وحاضر. فالماضي ما عُدّ بعد وجوده، فيقع الإخبار عنه في زمان بعد زمان وجوده، وهو المراد بقوله: الدال على اقتران حدث بزمان قبل زمانك، أي: قبل زمان إخبارك. ويريد بالاقتران وقت وجود الحدث لا وقت الحديث عنه، ولولا ذلك؛ لكان الحد فاسداً، والمستقبل ما لم يكن له وجود بعد، بل يكون زمان الإخبار عنه قبل زمان وجوده؛ وأمّا الحاضر فهو الذي يصل إليه المستقبل، ويسري منه الماضي، فيكون زمان الإخبار عنه هو زمان وجوده، وقد أنكر بعض المتكلمين فعل الحال، وقال: إن كان قد وُجد، فيكون ماضياً، وإلا فهو مستقبل، وليس ثمّ ثالث، والحق ما ذكرناه⁽¹⁾.

والزجاجي يرى أن الفعل يكون في الزمن الماضي والمستقبل وينكر دلالاته على الحال، فيقول: (الفعل على الحقيقة ضربان كما قلنا، ماضٍ ومستقبل، فالمستقبل ما لم يقع بعد، ولا أتى عليه زمان، ولا خرج من العدم إلى الوجود، والفعل الماضي ما تقضى وأتى عليه زمانان لا أقل من ذلك، زمان وجد فيه، وزمان خبّر فيه عنه، فأما فعل الحال فهو المتكون في حال خطاب المتكلم، لم يخرج إلى حيز المضي والانقطاع، ولا هو في حيز المنتظر الذي لم يأت وقته، فهو المتكون في الوقت الماضي وأول الوقت المستقبل، ففعل الحال في الحقيقة مستقبل، لأنه يكون أولاً، فكل جزء خرج منه إلى الوجود صار في حيز المضي)⁽²⁾.

ويرى البطليوسي أن الأشياء قد تعرض لها عوارض تُخرجها عن أصولها، ذكر منها

(1) شرح المفصل 4/7.

(2) الإيضاح في علل النحو 87.

دلالة صيغة الفعل على الزمان، فقد تخرج دلالاته الزمنية الموضوعية للفعل من صيغته إلى الدلالة إلى زمان آخر وفق السياق والعوارض التي تعرض لها، (ألا ترى أن حروف الشرط تدخل على الأفعال الماضية فتصير بمنزلة المستقبلية، فتقول: إن جاءني زيد أكرمته، وكذلك تدخل حروف الجزم على الأفعال المستقبلية فتصيرها بمعنى الماضية، فتقول: لم يجئني زيد أمس، فيلزم من أجل هذا العارض الذي يشكك في حدودها ورسومها أن يقال: الفعل الماضي ينقسم ثلاثة أقسام: ماض في اللفظ والمعنى كقولك: قام زيد أمس، وماض في اللفظ لا في المعنى كقولك: إن قام زيد أكرمته، وماض في المعنى لا في اللفظ، كقولك: لم يقم زيد أمس، ويقال في المستقبل مثل ذلك)⁽¹⁾.

فالبطليوسي خرج بمفهوم الجملة من حيث الزمان من المستوى الصرفي إلى المستوى النحوي من خلال السياق، وهذا مما يدل على أن علماءنا قديماً أدركوا حقيقة الزمان من حيث علاقته بالفعل، إذ لا يعقل أن يكون قد التبس عليهم الفرق بين معاني الفعل الخالي عن القيود الزمانية، وبين الفعل المقيد بها، فإن الفرق بين هذه التراكييب المختلفة واضحة بينة، ولا بد أن يكونوا قد أدركوا هذا الفرق، إلا أنهم لم يدخلوا في تفاصيلها ولم يجعلوا لكل من الصيغ الزمنية باباً خاصاً⁽²⁾.

وخلاصة القول أن النحاة القدامى حاولوا دراسة الظاهرة الزمنية من خلال معطيات متعددة، ومستويات متداخلة منها المستوى الصرفي والمستوى النحوي والأدوات التي تعمل في الأفعال، أو التي تخصص دلالاته، كما تناثرت إشارات عن الزمن في أبواب مختلفة⁽³⁾.

(1) الحلل في إصلاح الخلل 90.

(2) ينظر: الأزمنة في اللغة العربية (بحث) 1.

(3) ينظر: الزمن في اللغة العربية 41.

الزمان في الدراسات اللغوية الحديثة:

ركزت الدراسات اللغوية الحديثة على دلالة الفعل الزمنية من خلال الاستعمال، وفرقت بين الزمن الصرفي الذي قُسم الفعل بمقتضاه إلى ماضٍ، وحاضر، ومستقبل، وبين الزمن النحوي من خلال وظيفته في الجملة من دلالات السياق في الأساليب المختلفة، فللصيغة الواحدة من الفعل دلالات متعلقة بأزمنة مختلفة على حسب ما يصطحب الفعل من كلمات أو تركيب⁽¹⁾.

فقامت دراسات بهذا المفهوم على الزمن الصرفي والنحوي من علماء العرب والمستشرقين، منهم من أنصف العربية وذكر ما تميزت به في دلالاتها عن الزمن على المستوى الصرفي والمستوى النحوي، ومنهم من وصفها بالافتقار إلى الدقة، وأن أبنية الزمن فيها قليلة، وأنه ليس شيئاً أصيلاً فيها، وأن اقتران الفعل العربي به حديث النشأة.

يقول الدكتور مهدي المخزومي: (هذا يعني أن العربية قد أهملت المجالات الزمنية التي يتضمنها الزمن الواحد، كالماضي مثلاً، ولم يكن لديها من الأبنية ما تعبر به عن تلك المجالات)⁽²⁾.

وينتقد النحاة في تعاملهم مع الزمن بقوله: (لم ينجحوا في تطبيق أقسام الفعل على أقسام الزمان، فقد خصوا الفعل الماضي بالزمن الماضي وأطلقوا المضارع للحال والاستقبال جميعاً، لأن المفترض أن يكون لكل قسم من أقسام الزمان قسم من أقسام الفعل يدل عليه، وهو ما لم ينجحوا في تطبيقه)⁽³⁾.

(1) ينظر: الدلالة الزمنية في الجملة العربية 36.

(2) في النحو العربي نقد وتوجيه 145.

(3) المرجع السابق 147.

ويرى السامرائي أن الفعل يدل على الزمان بصيغ وأبنية وتراكيب معروفة ويكون في كل اللغات، والعربية منها، ولكنه يلاحظ على العربية بقوله: (غير أن الصعوبة في هذا الأمر أن أبنية الفعل العربي لا تفصح عن الزمان، كما تشير إلى ذلك مصطلحاتها)⁽¹⁾. غير أنه ناقش آراء المخزومي، فخالفه وعارضه في كثير منها.

وذهب المستشرق وليم رايت إلى أن الزمن في اللغة العربية يفتقر إلى الدقة، وأن أبنية الزمن في العربية قليلة، وأنها قاصرة في الدلالة الزمنية على كلمتي ماضٍ و مستقبل⁽²⁾. ويقول المستشرق بول كراوس في محاضراته: أن الزمن في العربية ليس شيئاً أصيلاً، وأن اقتتان الفعل العربي به حديث النشأة، بعد أن وجدت صيغة فَعَلٍ المتطورة عن صيغة فَعِلٍ وهي الصيغة التي يطلق عليها الكوفيون الفعل الدائم في ، والتي يعدونها أقدم وجوداً من الفعل الماضي⁽³⁾.

ولعل الأسباب التي دفعت بعض المستشرقين ومن تابعهم إلى القول إن الزمن في اللغة العربية يفتقر إلى الدقة ترجع إلى ما وجدوه من أن الفعل قد يدل على زمن معين، فإن اقترن بحرف ما تحول إلى زمن ثانٍ، وأن الفعل في صيغة ما قد يدل على معنى لا تحمله تلك الصيغة، وأن أبنية الزمن في العربية قليلة، ذلك راجع لظنهم بأن الزمن يقتصر في دلالاته على الصيغ الصرفية المعروفة⁽⁴⁾.

ومن المستشرقين من كان منصفاً عارفاً عالماً بالعربية فذكر ما في الأزمنة العربية من تنوع، وما فيها من دقائق وأبعاد، منهم برجشتراسر بقوله: (فكل هذا ينوع معاني الفعل تنوعاً أكثر بكثير مما يوجد في أية لغة كانت، من سائر اللغات السامية، قريباً

1) الفعل زمانه وأبنيته 23.

2) ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه 145 وما بعدها.

3) ينظر: المرجع السابق 144.

4) ينظر: في علم اللغة 196، وأبنية الزمن ودلالاتها في اللغتين العربية والإنجليزية، مجلة جامعة الأقصى 201.

من غنى الفعل اليوناني والغربي، أو بالأحرى أغنى منها في بعض الأشياء، وهذا من أكبر الأدلة على سجية اللغة العربية وطبيعتها، فاللغة العربية أكمل اللغات السامية، وأتمها في هذا الباب، أي باب معاني الفعل الوقتية وغيرها⁽¹⁾.

موازنة بين العربية والإنجليزية في الزمن:

الفعل لا ينفك عن الزمان على الإطلاق، والزمن يخالط الفعل ويقيد وقوعه بوقت من الأوقات، ولكل لغة أسلوبها في تحديد الزمن، غير أن اللغات على اختلافها في تحديد الأزمنة وتقسيمها تتفق في أمور عامة للتحديد والتقسيم، وأكثر اللغات تصريف الأفعال تصريفاً يوزعها على ثلاثة حقول زمنية وهي الماضي والحاضر والمستقبل. فاللغة الإنجليزية تمثل الثراء اللغوي الزمني في اللغات الأوروبية، فهي تتميز بتنوع الأزمنة وبتصريفها المفصل للأفعال، فتجعل لكل حقل من الحقول الزمنية الكبرى أربعة حقول صغرى على النحو التالي⁽²⁾:

أولاً: الزمن الماضي وهو أربعة فروع:

Past simple	1- الماضي البسيط.
Past continuous	2- الماضي المستمر.
Past perfect	3- الماضي التام.
Past perfect continuous	4- الماضي التام المستمر.

(1) التطور النحوي للغة العربية 90.

(2) ينظر: في علم اللغة 196.

ثانيا: الزمن الحاضر وهو أربعة فروع:

- 1- الحاضر البسيط. Present simple
- 2- الحاضر المستمر. Present continuous
- 3- الحاضر التام. Present perfect
- 4- الحاضر التام المستمر. Present perfect continuous

ثالثا: الزمن المستقبل وهو أربعة فروع:

- 1- المستقبل البسيط. Future simple
- 2- المستقبل المستمر. Future continuous
- 3- المستقبل التام. Future perfect
- 4- المستقبل التام المستمر. Future perfect continuous⁽¹⁾

فهي متساوية في اللغة الإنجليزية من حيث التصريف والتركييب والصيغ، كلٌّ في زمنه، وفي اللغة العربية هي أقل منها بكثير على المستوى الصرفي، أما على المستوى النحوي فالعربية أكثر منها بكثير كما سيأتي.

يقول غازي طليمات: (غير أن للمسألة وجهين: وجهها صرفيا طغى على اللغة الإنجليزية، ووجهها نحويا يتجلى في العربية، إذ تستطيع لغتنا بالتراكيب والقرائن والأدوات أن تترجم المراحل الزمنية ترجمة دقيقة، تماثل أو تبتز ما يقابلها في أكثر اللغات احتفاء بالزمن)⁽²⁾.

درس تمام حسان الزمن دراسة معمقة توصل فيها إلى نتائج أكملت النقص الموجود في دراساتنا للزمن، فتناول الزمن من الجانبين الصرفي والنحوي وفصل في الزمن النحوي وبيّن وظيفته في السياق، فقال: (إذا كان للزمن النحوي وظيفة في السياق فإنّ علينا

⁽¹⁾ ينظر كتب قواعد اللغة الإنجليزية لمن يريد معرفة كيف تبنى هذه الأزمنة؟ وكيف تتصرف؟.

⁽²⁾ في علم اللغة 197.

أن ننظر في هذا السياق لنكشف عن الزمن، وإن الذي يمكننا أن ننظر إليه من أنواع السياق هو أنواع مباني الجملة العربية، فالجملة العربية تنقسم إلى قسمين رئيسيين هما: الجملة الخبرية والجملة الإنشائية، وتحت كل منهما تفرعات⁽¹⁾. فهو يتناول الزمن من خلال سياق الجملة النحوية وفق تقسيم النحاة لها، جملة خبرية تحتها المثبتة والمنفية والمؤكدّة، وجملة إنشائية تحتها الاستفهامية والشرطية بشيء من التفصيل، وسننقل في هذا البحث ما ذكره عن الجملة الخبرية المثبتة. (وأول ما يخطر ببالنا هنا أن الجملة المثبتة تحتفظ لصيغتي فَعَلَ ويفعل بزمنهما الذي أعطاه إياهما النظام الصربي، فيظل فَعَلَ ماضياً، ويظل يفعل حالاً أو استقبلاً بحسب ما يضافه من الأدوات كالسين وسوف، ثم بحسب ما يعرض للزمن في هاتين الصيغتين من معاني الجهة التي تفصح عنها اصطلاحات البعد والقرب والانقطاع والاتصال والتحدد والانتهاؤ والاستمرار والمقاربة والشروع والعادة والبساطة، ويتضح ذلك فيما يأتي:

الزمن	الجهة	صيغة فعل	صيغة يفعل
الماضي	البعيد المنقطع	(كان فعل)	
الماضي	القريب المنقطع	(كان قد فعل)	
الماضي	المتحدد	(كان يفعل)	
الماضي	المنتهي بالحاضر	(قد فعل)	
الماضي	المتصل بالحاضر	(ما زال يفعل)	
الماضي	المستمر	(ظل يفعل)	
الماضي	البسيط	(فعل)	

⁽¹⁾ اللغة العربية معناها ومبناها 243.

الزمن	الجهة	صيغة فعل	صيغة يفعل
الماضي	المقارب	(كاد يفعل)	
الماضي	الشروعي	(طفق يفعل)	
الحال	العادي	(يفعل)	
الحال	التجددي	(يفعل) ⁽¹⁾	
الحال	الاستمراري	(يفعل) ⁽¹⁾	
الاستقبال	البسيط	(يفعل)	
الاستقبال	القريب	(سيفعل)	
الاستقبال	البعيد	(سوف يفعل)	
الاستقبال	الاستمراري	(سيظل يفعل)	

فالاختلاف بين زمن وزمن هنا هو في الواقع اختلاف في الجهة لا في المضي والحال والاستقبال، فهناك تسع جهات مختلفة للماضي، وثلاث للحال، وأربع للاستقبال، وبذلك يكون زمن الجملة الخبرية المثبتة في اللغة العربية يقع في ست عشرة صورة يظل فعَلٌ فيها على مضيه دائماً، ويدل يفعل فيها على الحال أو الاستقبال دائماً، وبحسب القرينة أو الضميمة، ومن الملاحظ أن تعبيرات الجهة في معنى الزمن هنا تأتي من الأدوات، سواء أكانت هذه الأدوات حرفية كما في قد والسين وسوف، أم نواسخ كما في كان ومازال وظلّ وكاد وطفق، أو يكون الزمن مصحوباً بعدم الجهة كما في فعل ويفعل الواردين في بعض الحالات⁽²⁾.

⁽¹⁾ هكذا وردت في نسختي صيغة الحال كلها متساوية، ولعله خطأ في الطباعة، لأن صيغة الحال المتجدد (يكون يفعل)، وصيغة الحال المستمر (ظل يفعل).

⁽²⁾ اللغة العربية معناها ومبناها 245، 246.

فمن يقارن بين ما توصل إليه الدكتور تمام حسان من فروع للزمن الماضي في الجملة الخبرية المثبتة ويقابله بالفروع الأربعة للزمن الماضي في اللغة الإنجليزية يتبين أنها ليست أكثر من نصف الأزمنة التي ينطوي عليها الزمن الماضي في العربية، وأن معنى الزمن في العربية لا يستنبط من الصيغ الصرفية وحدها بل منها ومن التراكيب والأدوات والقرائن⁽¹⁾.

دلالة الزمن في العربية:

الزمن في اللغة العربية لا يخرج في دلالاته عن أحد الأزمنة الثلاثة، وهي الماضي أو الحاضر أو المستقبل، إلا أن الحاضر أضيقتها زمانا، ومعناه اللحظة الفاصلة بين الماضي والمستقبل والظرف الدال عليه هو (الآن)، والماضي كل ما سبقه من الأزمن إلى زمان التكلم، أي إلى الآن، والمستقبل كل ما يلحقه من الآن إلى الأبد⁽²⁾.

والزمن في العربية ناتج عن مستويين:

مستوى صرفي: يقتصر في دلالاته على الصيغ الصرفية المعروفة وما يتغير فيها ويضم إليها، وهو ما يمكن أن يطلق عليه اسم (الزمن المطلق) أي خالٍ من القيود، ويكون فيه الأزمنة الثلاثة الماضي والحاضر والمستقبل من غير قيد.

ومستوى نحوي: تكون دلالة الزمن فيه من خلال التراكيب والقرائن والأدوات، ومن خلال أقسام الكلمة الثلاثة الاسم والفعل والحرف، وهو يمكن أن يطلق عليه اسم (الزمن المركب) أي زمن مقيد بسبب التركيب، ويدل على الأزمنة الثلاثة الماضي والحاضر والمستقبل بقيد، وكل منها منقسم إلى فروع مختلفة بقيود خاصة يتميز بها بعضها عن بعضها الآخر، وقيد الفعل كثيرة التي تحدد علاقة الزمان به، فبعضها

(1) ينظر: في علم اللغة 200.

(2) ينظر: المرجع السابق 196.

حروف: كقد، ولم، وإذا، وإن، وبينما، وبعضها أفعال ناسخة، مثل: كان، ومازال، وظل، وكاد، وطفق، وبعضها تعبيرات بسيطة: كأمس، وحيث، وإيّاك، وهكذا تتفاوت المراتب الزمنية للفعل بهذه القيود، فيكون بعضها أقرب زماً إلى المتكلم أو أبعد إليه من بعضه الآخر، ويكون في أنواعٍ منها احتمال التكرار دون الأخرى⁽¹⁾.

وقبل الشروع في تحديد دلالة الزمن من خلال السياق ينبغي التنبيه إلى أن هذا الموضوع لم يدرس ويتناول بصورة واحدة ليخلص إلى نتائج وصيغ متوافقة، فدراسة الدكتور تمام حسان لم تكن مساوية لدراسة الدكتور مهدي المخزومي في مصطلحاتها ومسمياتها وصيغها ونتائجها، ولم تتوافق دراسة الدكتور محمد الريحاني معهما، ولا دراسة الدكتور إبراهيم السامرائي أيضاً، عليه نأمل أن تقام دراسة دقيقة للزمن من خلال السياق تجمع بين آراء كل من كتب في هذا الموضوع لتخرج بنتائج موحدة في المصطلحات والصيغ ومسمياتها، بحيث يصير من المعلوم للجميع أن الفعل المضارع إذا سبقته ظل (ظل يفعل) يطلق عليه (الماضي المستمر)، ولا أعنى بذلك أن نقيد البحث في مدلول الزمن في العربية ونوقفه، بل أقصد أن الدراسات المتأخرة تبنى على الدراسات السابقة لتوحيد الصيغ ومسمياتها؛ لتتقارب الآراء، وتكون المصطلحات والصيغ والمسميات ثابتة لبعض التراكييب في العربية⁽²⁾.

وينبغي التنبيه على أن تحديد زمن الجملة قد يكون بالفعل الناسخ أولاً والفعل الأصلي ثانية، وقد يكون العكس، لأنه إذا اجتمعت قرينتان تدلان على الزمن فغالباً ما

(1) ينظر: الأزمنة في اللغة العربية (بحث) 4.

(2) ينظر: الزمن واللغة 104-106، وينظر كتاب إبراهيم السامرائي "الفعل زمانه وأبنيته" ومحمد الريحاني "اتجاهات التحليل الزمني في الدراسات اللغوية"، وعلي المنصوري "الدلالة الزمنية في الجملة العربية"، وعبد المجيد جحفة "دلالة الزمن في العربية"، ومالك المطليبي "الزمن واللغة"، وتمام حسان "اللغة العربية معناها ومبناها" ومهدي المخزومي "في النحو العربي نقد وتوجيه" وغيرهم.

يتحدد زمن الجملة بحسب دلالة القرينة الأقوى وإن تأخرت، أو بحسب القرينة المتقدمة إن كانت أقوى أو مساوية لما بعدها في الدلالة الزمنية⁽¹⁾.

أولاً: الماضي المطلق والمقيد:

1- الماضي المطلق: وصيغته (فَعَلَ).

هو الفعل الماضي الذي يخبر عن حدث في سابق من الزمان قبل زمن التكلم، دونما أي تقييد له بوقت معين، مثل: (زار محمد صديقه، كتب الطالب بحثاً) فالفعل حدث في زمن ما من الماضي وانتهى فيه، فهو تعميم يدل على أنه فعل مستغرق في طي الماضي غير محدد بجزء منه.

2- الماضي المقيد:

أ- صيغة الفعل الماضي مسبوقه بقَد (قد فعل) يسمى (الماضي المنتهي بالحاضر)، يدل على وقوع أحداث في زمان يقرب من زمن التكلم أي الحاضر، كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا لِيَمْعَشَرَ الْجِنِّ قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِّنَ الْإِنسِ﴾⁽²⁾ ومثل: قد قامت الصلاة، قد وعيت مقالك⁽³⁾.

ويسمى أيضا (الماضي الجازم أو الماضي المحقق)، هو الذي يفيد القطع ويدل على حدث في وقت معين من الزمان الماضي⁽⁴⁾ كقوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾⁽⁵⁾ ومثل: قد نجح الطالب⁽⁶⁾.

(1) ينظر: الدلالة الزمنية في الجملة العربية 47.

(2) الأنعام 129.

(3) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها 245.

(4) ينظر: الأزمنة في اللغة العربية (بحث) 5، وأبنية الزمن ودلالاتها في اللغتين العربية والإنجليزية مجلة جامعة الأقصى 187.

(5) المجادلة 1.

(6) ينظر: اتجاهات التحليل الزمني في الدراسات اللغوية 43.

ب- صيغة الفعل الماضي مسبوقه بقـد وكان (كان قد فعل) أو (قد كان فعل) يسمى (الماضي القريب المنقطع)، تستعمل للتعبير عن وقوع حدث في زمان ماض قريب، والقرب مأخوذ من قد لأنها إذا دخلت على الماضي تقربه من الحال⁽¹⁾، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مَن قَبْلُ﴾⁽²⁾ ومثل: في الساعة العاشرة كان الامتحان قد انتهى، عند وصول الشرطة كان اللص قد هرب⁽³⁾.

قال المتني:

قد كان شاهد دفي قبل قولهم جماعة ثم ماتوا قبل من دفنوا⁽⁴⁾

ج- صيغة الفعل الماضي مسبوقه بكان (كان فعل) يسمى (الماضي البعيد المنقطع)، تستعمل للتعبير عن وقوع حدث في زمان ماض بعيد، وهو أسلوب للحكاية عن أمر حدث حقيقة أو حكما، وذلك في زمن غير قريب، كقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ﴾⁽⁵⁾ ومثل: كنت زجرته فلم يزدجر.

د- صيغة الفعل المضارع مسبوقه بكان بصيغة الماضي (كان يفعل) يسمى (الماضي المتجدد)، ويتكون من الفعل الناسخ المساعد (كان) متقدمة على الفعل المضارع، فيدل حينئذ على حدوثه في الماضي، ثم يتجدد وقوعه مرات في الماضي وينقطع، وقد يكون انقطاعه هذا قريبا من الحال أو بعيدا عنه⁽⁶⁾، مثل: كان الطفل يبكي، يدل هذا التركيب على أن البكاء حدث في الزمن الماضي ينقطع ويتجدد.

1) ينظر: الكليات 735.

2) الأحزاب 15.

3) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها 245.

4) ديوان المتني 472.

5) يونس 98.

6) ينظر: الدلالة الزمنية في الجملة العربية 49.

هـ- صيغة الفعل المضارع مسبوقة بما زال وأخواتها بصيغة الماضي (مازال يفعل) يسمى (الماضي المتصل بالحاضر)، ويتكون من الأفعال الناسخة المساعدة (مازال، مانفك، مابرح، مافتى، مادام) متقدمة على الفعل المضارع، فيدل حينئذ على الماضي الذي يتصل بالحاضر، وتكون هذه الصيغة حلقة وصل بين الماضي والحاضر؛ لأنها تربط الحدين⁽¹⁾، مثل: ما زال الطالب يدرس، يدل هذا التركيب على أن الدراسة ممتدة من الزمن الماضي إلى أن تتصل بالحاضر.

و- صيغة الفعل المضارع مسبوقة بظل وأخواتها بصيغة الماضي (ظل يفعل) يسمى (الماضي المستمر)، ويتكون من الأفعال الناسخة المساعدة (ظل، بات، أمسى، أضحى، أصبح) متقدمة على الفعل المضارع، فيدل حينئذ على الماضي المستمر إلى الحاضر، وربما تستمر إلى المستقبل، ولا يقصد بالاستمرار أن يستمر إلى زمن الحاضر، إنما تدل صيغته على أن الحدث استمر لفترة في الماضي قد تقترب من الحاضر أو قد تبتعد عنه⁽²⁾، مثل: بات الطالب يدرس، يدل هذا التركيب على أن الطالب مستمر في الدراسة إلى زمن الحاضر.

ز- صيغة الفعل المضارع مسبوقة بكاد وأخواتها بصيغة الماضي (كاد يفعل) يسمى (الماضي المقارب)، ويتكون من الأفعال الناسخة المساعدة (كاد، أو شك، كرب) متقدمة على الفعل المضارع، فيدل حينئذ على قرب وقوع الفعل ولا تدل على الماضي القريب من الحاضر، بل تدل على أن الحدث قرب وقوعه لكنه لم يحدث؛ سواء كان ذلك الحدث في الماضي البعيد أو القريب⁽³⁾، مثل: كاد الامتحان ينتهي، يدل هذا التركيب على أن الامتحان اقترب انتهاؤه في الماضي، ولكنه لم ينته.

(1) ينظر: الزمن واللغة 264.

(2) ينظر: اتجاهات التحليل الزمني في الدراسات اللغوية 110.

(3) ينظر: الزمن واللغة 256.

ح- صيغة الفعل المضارع مسبوقه بطفق وأخواتها بصيغة الماضي (طفق يفعل) يسمى (الماضي الشرعي)، ويتكون من الأفعال الناسخة المساعدة (طفق، أنشأ، جعل، علق، أخذ) متقدمة على الفعل المضارع، فيدل حينئذ على أن الحدث بُدئ العمل به في الزمن الماضي، ولم يزل زمن عمله مستمرا⁽¹⁾، كقوله تعالى: ﴿وَطَفِقًا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾⁽²⁾، يدل هذا التركيب على أن الخصف بدئ به في الزمن الماضي ولم يزل مستمرا.

ثانيا: الحاضر المطلق والمقيد:

1- الحاضر المطلق: وصيغته (يفعل).

هو الفعل المضارع الذي يخبر عن حدث يقع وقت التكلم دونما تحديده بوقت معين، مثل: (يكتب محمد في الفصل، يذهب الطالب إلى الجامعة).

2- الحاضر المقيد:

أ- صيغة الفعل المضارع مسبوقه ببيكون بصيغة المضارع (يكون يفعل) يسمى (الحاضر المتجدد)، ويتكون من الفعل الناسخ المساعد (يكون) متقدمة على الفعل المضارع، فيدل حينئذ على حدوثه مرات متجددة في الحاضر⁽³⁾، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ تَكُونُوا تَأْمُونَ﴾⁽⁴⁾ وكقوله تعالى: ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُ وَجَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾⁽⁵⁾ يدل هذا التركيب على أن التألم والأكل حدث في الزمن الحاضر وتجدد مرات فيه.

(1) ينظر: الدلالة الزمنية في الجملة العربية 51

(2) الأعراف 22.

(3) ينظر: الدلالة الزمنية في الجملة العربية 71.

(4) النساء 104.

(5) الفرقان 8.

ب- صيغة الفعل المضارع مسبوقة بما يزال وأخواتها بصيغة المضارع (ما يزال يفعل) يسمى (الحاضر المتصل بالمستقبل)، ويتكون من الأفعال الناسخة المساعدة (ما يزال، ما ينفك، ما يبرح، ما يفتي) متقدمة على الفعل المضارع، فيدل حينئذ على الحاضر الذي يتصل بالمستقبل⁽¹⁾، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ﴾⁽²⁾ مثل: ما يزال المريض يتألم، يدل هذا التركيب على أن تألم المريض في الزمن الحاضر ممتدا ومتصلا بالمستقبل.

ج- صيغة الفعل المضارع مسبوقة بيظل وأخواتها بصيغة المضارع (يظل يفعل) يسمى (الحاضر المستمر)، ويتكون من الأفعال الناسخة المساعدة (يظل، يبيت، يمسي، يضحى، يصبح) متقدمة على الفعل المضارع، فيدل حينئذ على الحاضر المستمر إلى المستقبل، أي أن صيغته تدل على أن الحدث استمر لفترة في الحاضر قد تقترب من المستقبل أو قد تبعد عنه⁽³⁾، مثل: الطالب المجتهد يظل يراجع دروسه، يدل التركيب على أن الطالب مستمر في مراجعة دروسه من الزمن الحاضر إلى زمن المستقبل.

د- صيغة الفعل المضارع مسبوقة بيكاد وأخواتها بصيغة المضارع (يكاد يفعل) يسمى (الحاضر المقارب)، ويتكون من الأفعال الناسخة المساعدة (يكاد، يوشك) متقدمة على الفعل المضارع، فيدل حينئذ على أن الحدث قرب على الوقوع لكنه لم يقع، بمعنى أن الحدث في هذه الأفعال لا يتم حدوثه في الماضي ولا في الحال⁽⁴⁾، كقوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾⁽⁵⁾ وكقوله تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يُخَطِّفُ

(1) ينظر: الزمن واللغة 266.

(2) البقرة 217.

(3) ينظر: الدلالة الزمنية في الجملة العربية 72.

(4) ينظر: المرجع السابق 73.

(5) النور 35.

أَبْصَرَهُمْ⁽¹⁾ يدل هذا التركيب على أن البرق اقترب من خطف أبصارهم لكنه لم يحدث لا في الماضي ولا في الحاضر.

ثالثا: المستقبل المطلق والمقيد:

1- المستقبل المطلق: وصيغته (يفعل).

هو الفعل المضارع الذي يخبر عن حدث سيقع بعد زمن التكلم دونما تحديده بوقت معين، قد يستغرق المستقبل كله أو جزءا منه، وقد يقصد به المستقبل القريب أو البعيد، ويعود التحديد الزمني الدقيق في جملة المستقبل المطلق إلى الظروف الحالية وتقدير السامع أو المتكلم، لأن المتكلم في هذه الجملة لا يركز على المدلول الزمني بقدر ما يركز على أهمية الحدث⁽²⁾، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ﴾⁽³⁾

2- المستقبل المقيد:

أ- صيغة الفعل المضارع مسبوقه بالسين (سيفعل) يسمى (المستقبل القريب)، فيدل حينئذ على حدوث حدث في المستقبل القريب من الحال، كقوله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾⁽⁴⁾ ومثل: سيخرج محمد من البيت، فالفعل سيحدث في زمن ما بعد زمن التكلم قريب منه⁽⁵⁾.

ب- صيغة الفعل المضارع مسبوقه بالسوف (سوف يفعل) يسمى (المستقبل البعيد)، فيدل حينئذ على حدوث حدث في المستقبل البعيد الذي لا يمكن تحديد

(1) البقرة 20.

(2) ينظر: الدلالة الزمنية في الجملة العربية 82.

(3) ق 30.

(4) الشعراء 227.

(5) ينظر: الأزمنة في اللغة العربية (بحث) 4.

وقوعه، كقوله تعالى: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾⁽¹⁾ ومثل: سوف يذهب محمد إلى الجامعة، فالفعل سيحدث في زمن ما بعد زمن التكلم ليس قريبا منه⁽²⁾.

ج- صيغة الفعل الماضي مسبوقه بقدر وسيكون (سيكون قد فعل) و(سيكون فعل) يسمى (المستقبل القريب المنقطع)، تستعمل للتعبير عن وقوع حدث في المستقبل القريب، أي أن الحدث سيكون منتهيا قبل وقت معين في المستقبل، وقد يكون انقطاعه هذا قريبا من الحال أو بعيدا عنه مثل: غدا الساعة العاشرة سيكون الامتحان قد انتهى، ومثل: غدا الساعة العاشرة سيكون الامتحان انتهى⁽³⁾.

د- صيغة الفعل المضارع مسبوقه بسيكون بصيغة المضارع (سيكون يفعل) يسمى (المستقبل المتجدد)، ويتكون من الفعل الناسخ المساعد (سيكون) متقدمة على الفعل المضارع، فيدل حينئذ على حدوثه في المستقبل، أي للتعبير عن الحدث الذي سيبدأ قبل وقت معين في المستقبل وسيستمر في ذلك الوقت، مثل: في الساعة التاسعة غدا سيكون الطالب يراجع دروسه، هذه الجملة تعبر عن حال الطالب في وقت معين في المستقبل، فيدل هذا التركيب على أن الطالب عازم في الحاضر على إنجاز الحدث في الساعة التاسعة في المستقبل⁽⁴⁾.

هـ- صيغة الفعل المضارع مسبوقه بسيظل وأخواتها بصيغة المضارع (سيظل يفعل) يسمى (المستقبل المستمر)، ويتكون من الأفعال الناسخة المساعدة (سيظل، سيبيت، سيمسي، سيضحى، سيصبح) متقدمة على الفعل المضارع، فيدل حينئذ

(1) الفرقان 42.

(2) ينظر: الدلالة الزمنية في الجملة العربية 83.

(3) ينظر: دلالة الزمن في العربية 114.

(4) ينظر: المرجع السابق 116.

على وقع الحدث في المستقبل، أي أن صيغته تدل على أن الحدث استمر لفترة في المستقبل قد تقترب أو قد تبعد⁽¹⁾، مثل: سيظل الطالب ينتظر حتى يحضر الأستاذ. وهناك صيغ أخرى لها أثر في تحديد دلالة الزمان منها المشبهات بالفعل والظروف وبعض الأدوات: مثل: اسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، والمصدر، وأمس، والآن، وغدا، وقط، وإن، وقلما، وكلما، وحينئذ، ولن وغيرها، وهي تحتاج إلى دراسة أخرى لتوضيح دلالاته الزمانية.

النتائج والتوصيات:

- 1- أن مفهوم الزمن والزمان والوقت ليس من المترادفات.
- 2- أن دراسة علماء العربية للزمان قديما لم تكن شاملة عميقة، لأنهم اهتموا بدراسة الزمن من خلال الصيغ وأشاروا إليه إشارات خافتة في حالة التراكييب.
- 3- أن للزمان مستويين: مستوى صرفيا (دراسة الصيغ)، ومستوى نحويا (دراسة التراكييب).
- 4- أن الزمن في العربية لا يستنبط من الصيغ الصرفية وحدها بل منها ومن التراكييب والأدوات والقرائن.
- 5- أن فروع الزمن الماضي في اللغة العربية ضعف فروع الزمن الماضي في اللغة الإنجليزية، وفي الزمان الحاضر والمستقبل يكون مساويا للغة الإنجليزية أو أكثر.
- 6- أن عدد صيغ الماضي المقيد للدلالة على الزمان ثماني صيغ، وعدد صيغ الحاضر المقيد أربع صيغ، والمستقبل المقيد خمس صيغ.
- 7- الزمان في العربية يحتاج إلى دراسة دقيقة معمقة لتوحيد المصطلحات والمسميات والجهة، وبناء الدراسات اللاحقة على السابقة.

(1) ينظر الدلالة الزمنية في الجملة العربية 83.

المصادر والمراجع:

- أبنية الزمن ودلالاتها في اللغتين العربية والإنجليزية، د. محمد رمضان البع ود. حسن النبيه، مجلة جامعة الأقصى، م الخامس عشر، العدد الأول، 2011م.
- اتجاهات التحليل الزمني في الدراسات اللغوية، محمد عبد الرحمان الريحاني، دار قباء، القاهرة 1997م.
- الأزمنة في اللغة العربية (بحث)، فريد الدين آيدن، إسطنبول، 1997م.
- أسرار العربية، أبو بكرات الأنباري، تح محمد بهجة البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، 1957م.
- التطور النحوي للغة العربية، محاضرات المستشرق برجشتراسر، إخراج وتعليق د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1994م.
- الحلل في إصلاح الخلل، أبو محمد ابن السيد البطليوسي، تح سعيد سعودي، دار الطليعة، بيروت.
- الدلالة الزمن في العربية، عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب، ط1، 2006م.
- الدلالة الزمنية في الجملة العربية، د. علي جابر المنصوري، الدار العلمية العالمية، عمان الأردن، ط1، 2002م.
- دراسات في فقه اللغة، د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين، ط12، بيروت 1989م.
- ديون المتنبي، أبو الطيب المتنبي، دار بيروت، بيروت لبنان، 1983م.
- الزمن في اللغة العربية، محمد الملاخ، الدار العربية للعلوم، الرباط المغرب، ط1، 2009م.
- الزمن واللغة، مالك يوسف المطليبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986م.
- شرح المفصل، موفق الدين ابن يعيش، مكتبة المتنبي، القاهرة.

- الفروق في اللغة، أبو هلال العسكري، الدار العربية للكتاب، ط6، 1983م.
- الفعل زمانه وأبنيته، إبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة، ط3، 1983م.
- في علم اللغة، غازي مختار طليمات، دار طلاس، ط2، 2000م.
- في النحو العربي نقده وتوجيهه، مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت لبنان، ط2، 1986م.
- كتاب سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، بيروت، دار الجيل، ط1.
- الكليات، أبو البقاء الكفوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1993م.
- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط1، 1997م.
- اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1994م.
- المصباح المنير، أحمد الفيومي، دار القلم، بيروت لبنان.
- همع الهوامع، جلال الدين السيوطي، تح عبد العال مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط2، 1987م.